تابع لأثر الدعوة السلفية في توحيد المملكة العربية السعودية

الفصل الأول

الدعوة السلفية في الدورين الأول والثاني للدولة السعودية

المبحث الأول: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عقيدة السلف الصالح ولقائه بالإمام محمد بن سعود:

نشأ الإمام العلامة والداعية المجدِّد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، في القرن الثاني عشر، في زمنٍ اشتدت فيه غربة الإسلام، وغلب على أهله الجهل والبدع والخرافات، وعبادة الأنبياء والصالحين، والأشجار والأحجار، وقلّ فيه مَنْ يصدع بالحقّ، ويشرح للناس حقيقة التوحيد الذي بعث الله به الرُّسل، وأنزل به الكتب، ويحذّرهم من أنواع الشرك المنافية لدين الإسلام..

قام هذا الإمام ـ رحمه الله ـ داعياً إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، والعودة إلى ما كان عليه السلف الصالح، وتجريد المتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم في الأقوال والأفعال، ولم يزل ـ رحمه الله ـ مجاهداً بقلمه ولسانه، صابراً على ما يلقاه من أذى، داعياً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، مستمراً في الدعوة والبيان، وإيضاح الحق بأنواع الأدلة من الكتاب والسنة، وشرح حال سلف الأمة، وبذل كل غالٍ ونفيس لتجديد أمر الدين وإعادة الإسلام إلى صفائه ونقائه[١] .

وقد ثار عليه الحاسدون والحاقدون من أدعياء العلم، والأمراء الجُهَّال، والعوام، وعزموا على القضاء عليه وعلى دعوته الإصلاحية في مهدها، مما اضطرَّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى أن يلجأ إلى الدرعية ـ التي كانت تحت إمرة الإمام محمد بن سعود ـ ولما وصلها الشيخ استقبله الإمام محمد بن سعود ـ جد الأسرة السعودية أعزها الله وأدامها ـ استقبالاً طيباً، وأبدى له غاية الإكرام والتبجيل، وألقى الله سبحانه في قلبه المحبة للشيخ، وأخبره أنه يمنعه بما يمنع به نساءه وأولاده وقال له:

"أبشر ببلاد خيرٍ من بلادك، وأبشر بالعزِّ والمنَعة".

فقال الشيخ :

"وأنا أُبشرك بالعز والتمكين، وهذه الكلمة ـ لا إله إلا الله ـ مَن تمسك بها وعمل بها ونصرها، ملك بها البلاد والعباد، وهي كلمة التوحيد، وأوَّل ما دعت إليه الرُّسل مِن أولهم إلى آخرهم، وأنت ترى نجداً وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل والفرقة وقتال بعضهم لبعض، فأرجو أن تكون إماماً يجتمع عليه المسلمون، وذريتك من بعدك".

عند ذلك قال الإمام محمد بن سعود للشيخ محمد بن عبد الوهاب:

"يا شيخ. إنّ هذا دين الله ورسوله، الذي لاشك فيه، وأبشر بالنُّصْرة لك ولِما أمرت به، والجهاد لمن خالف التوحيد"[٢].

وقد كان الإمام محمد بن سعود رجلاً حكيماً، حسن السياسة، قد قضى على دسائس المنافسين في الداخل، والدفاع ضد الأعداء الطامعين من الخارج.. يثبت ذلك استقرار إمارة الدرعية عشرين سنة في عهده قبل مبايعة الشيخ له. وقد كان معروفاً بالوفاء، مشهوراً بذلك..

ثم إن الإمام محمد بن سعود قد أدرك بصفاء بصيرته، وسلامة تفكيره، صحة ما يدعو إليه الشيخ من نصرة دين الله، والقيام بتوحيده، وإصلاح الدين والدنيا معاً، فقام بنصرته.

وأصبح الإمام محمد بن سعود هو المؤسس لدولة آل سعود الأولى، وهو الذي سنّ سُنّةً حسنة لبنيه بمناصرة دين الله، وإكرام علماء السنة، وتطبيق الشريعة[٣].

ومن ثم قام الإمامان الجليلان الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والإمام محمد بن سعود ـ رحمهما الله ـ وأنصارهما بكل ما أُوتوا من قوة العلم والإيمان، بنشر هذه الدعوة المباركة، ورفع راية الجهاد على من وقف في طريق الدعوة.

واستمر الشيخ ـ رحمه الله ـ في الدعوة إلى الله عز وجل، وتدريس العلوم الشرعية للطالبين، وكشف الشبهات التي يروجها الكفار والملحدون من عبَّاد القبور وغيرهم، ويُشجِّع على الجهاد بأنواعه، ويشارك بنفسه وأولاده، ويؤلف المؤلفات النافعة والرسائل المفيدة في بيان العقيدة الصحيحة، وردّ ما يخالفها بأنواع الأدلة، حتى ظهر دين الله، وانتصر حزب الرحمن، وذلّ حزب الشيطان، وانتصرت العقيدة السلفية في الجزيرة العربية وما حولها وكثر الدُّعاة إلى الحق، ونُكِّست أعلام البدع والشرك والخرافات، وقام سوق الجهاد، وعُمِّرت المساجد بالصلوات والدروس

---

١ انظر مقدمة الشيخ عبد العزيز بن باز على كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب للشيخ أحمد بن حجر آل أبو طامي ص3ـ4.

٢ انظر: تاريخ نجد، لحسين بن غنام، تحرير وتحقيق د0 ناصر الدين الأسد ص87، وعنوان المجد في تاريخ نجد، لعثمان بن بشر 12/1.

٣ انظر : عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، للدكتور صالح بن عبد الله العبود ص511ـ512.

الإسلامية النقية[4] .

وكان أهل الدرعية في غاية الجهالة، وقد وقعوا فيما وقعوا فيه من الشرك الأكبر والأصغر، والتهاون بالصلاة والزكاة، ورفض شعائر الإسلام[5] .

فتخولهم الشيخ بتعليمهم وتلقينهم التوحيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمر بتعليم معنى (لا إله إلا الله)، وأنـها نفيٌ وإثبات، فـ(لا إله) تنفي أن يكون هناك معبوداً بحق، و(إلا الله) تثبت العبادة لله وحده لا شريك له، ثم أمرهم بتعليم الأصول الثلاثة، وهي معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه صلى الله عليه وسلم[6].

ثم إن الشيخ كاتب أهل البلدان ورؤساءهم وقضاتهم، ومُدَّعي العلم منهم، فمنهم من قبل واتبع الحق، ومنهم من اتخذه سخرياً واستهزأ به، ونسبه إلى الجهل وعدم المعرفة، ومنهم من نسبه إلى السحر، ومنهم من رماه بأشياء وهو بريءٌ منها[7].

وبتحالف الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع الإمام محمد بن سعود، قامت في قلب الجزيرة العربية بعد نيفٍ وألف سنة من انتهاء عهد الخلفاء الراشدين دولة تحكم بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبالقدوة الحسنة المتوارثة عن السلف الصالح.

وفي توافق تام التأمت الإمامة الشرعية والسياسية الحكيمة في هذا الكيان السياسي الجديد، الذي شهدته بداية النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، ونشأ في قلب الجزيرة مجتمع هذّب الإسلام جوانبه، وقوّم اعوجاجه، وأزال نقائصه.

وقد اتسعت رقعة الدولة السعودية الأولى اتساعاً هائلاً، وخاصة في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، وسعود بن عبد العزيز، حيث وصلت حدود الدولة السعودية على أيام سعود بن عبد العزيز إلى جزر البحرين وعُمان وحتى مسقط..

واتسعت رقعتها في كل اتجاه بما في ذلك مدن الحجاز، حيث زالت سيادة الدولة العثمانية على الحرمين[8] . وأصبحت كلها منطقة سعودية. أما من الناحية الجنوبية الغربية فقد انضمت إليها منطقة عسير، ثم تبعتها منطقة المخلاف السليماني (جازان)، كما أدخلت تحت نفوذها أجزاء كبيرة من أراضي إمام اليمن وبَلْدَانه المهمة، خاصة الساحلية، وقد ازداد توغلها في الساحل اليمني حتى أوشكت أن تستولي على عدن، ومن الجنوب امتدت رقعتها حتى الربع الخالي. بل إنّ غاراتها وصلت إلى مشارف حضرموت. أما من ناحية الشمال فقد أدخلت تحت طاعتها جميع أجزاء الجزيرة العربية الشمالية، ومدَّت لها نوعاً من النفوذ في أماكن من العراق والشام تمثل في دفع بعض القبائل هناك الزكاة إليها[9].

وللإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود الذي بويع إماماً للمسلمين بعد وفاة أبيه سنة 1179هـ[10] مكانة خاصة من أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، فمنذ كان صغير السن، كان له اهتمام بعلم الشيخ، فقد كتب للشيخ وهو بالعيينة يطلب منه أن يكتب له تفسير (الفاتحة) فكتبها له وهو إذ ذاك صغير السن قد ناهز الاحتلام[11] .

"وكان عبد العزيز كثير الخوف من الله، كثير الذكر لله، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، لا تأخذه في لله لومة لائم، ينفّذ الحق ولو في أهل بيته وعشيرته، لا يتعاظم عظيماً إذا ظلم فيقمعه عن الظلم، وينفّذ الحق فيه، ولا يتصاغر حقيراً ظُلم فيأخذ له الحق ولو كان بعيد الوطن، وكان لا يكترث في لباسه ولا سلاحه.."[12] .

"وكان ـ رحمه الله ـ مع رأفته بالرعية، شديداً على من جنى جناية من الأعراب، أو قطع سبيلاً، أو سرق شيئاً من مسافر، بحيث مَن فعل شيئاً من ذلك أخذ ماله نكالاً أو شيئاً منه على حسب جنايته، وأدَّبه غير ذلك أدباً بليغاً"[13] .

"وكان يوصي عمّاله بتقوى الله، وأخذ الزكاة على الوجه المشروع، وإعطاء الضعفاء والمساكين، ويزجرهم عن الظلم وأخذ كرائم الأموال"[14] .

وقد وصف الشيخ عثمان بن سندي البصري الفيلكاوي ـ الذي عاصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ حالة الأمن في المناطق التي كان يحكمها آل سعود إذ ذاك بأنهم ـ أي آل سعود ـ قد أمنوا البلاد التي ملكوها، وصار كلُّ ما كان تحت حكمهم، حتى البراري والقِفار، يسلكها الرجل وحده على حماره بلا خفر، وخصوصاً بين الحرمين الشريفين، ومنعوا غزو الأعراب بعضهم البعض،

---

٤ انظر: مقدمة الشيخ عبد العزيز بن باز على كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب للشيخ أحمد بن حجر آل أبو طامي ص4.

٥ عنوان المجد 14/1.

٦ المرجع السابق ، وانظر: الأصول الثلاثة.

٧ عنوان المجد 14/1.

٨ في آفاق التربية الوطنية في المملكة العربية السعودية، د0 سليمان الحقيل ص18.

٩ تاريخ المملكة العربية السعودية، د0 عبد الله العثيمين 149/1ـ150.

١٠ انظر: عنوان المجد لابن بشر 49/1، تاريخ نجد ـ المسمى روضة الأفهام ـ لابن غنام ص129.

١١ انظر: تاريخ نجد، لابن غنام ص483.

١٢ عنوان المجد لابن بشر 126/1.

١٣ المرجع السابق 127/1.

١٤ المرجع السابق 129/1.

وصار جميع العرب على اختلاف قبائلهم من حضرموت إلى الشام كأنهم إخوان، أو أولاد رجل واحد، وهذا بسبب تأديبهم للقاتل والنّاهب والسارق، إلى أن انعدم هذا الشر في زمان ابن سعود".

هذه شهادة من رجل يعد من خصوم آل سعود، فهو من أعوان الدولة العثمانية، وله صلات قوية بولاة بغداد العثمانيين، ولا يمكن اعتباره ـ بأية حال ـ ذا صلة بآل سعود، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يقول كلمة الحق، وأن يؤرخ للأمن في شبه الجزيرة العربية، في سياق أحد مؤلفاته، ليثني على ما تحقق منه على أيدي أمراء آل سعود في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة[١٥] .

وفي سنة 1185هـ أرسل الإمام عبد العزيز، والإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهما الله ـ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين إلى والي مكة أحمد بن سعيد الشريف، لشرح المعتقد الصحيح وبيان حقيقة الدعوة، وذلك بناء على طلبه[١٦] .

وفي سنة 1211هـ أرسل الإمام عبد العزيز جماعة من أهل الدين والعلم المشهورين بحسن المناظرة بالبراهين، برئاسة الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، إلى الشريف غالب، وذلك بناءً على طلبه أيضاً[١٧]. إلى غير ذلك من الأعمال الجليلة التي قام بها الإمام عبد العزيز..

وهكذا سار بقية أئمة الدور السعودي الأول على النهج السلفي الذي سلكه الإمام محمد بن سعود، والإمام محمد بن عبد الوهاب في نصرة الدين وبيان العقيدة الصحيحة للناس، ونبذ الشرك والبدع والخرافات، وإقامة الجهاد على أعداء الإسلام، وأعداء الدعوة، وأمَّنوا البلاد التي ملكوها..

ولم تخلُ هذه الفترة من حروب شرسة شنّها أعداء الدعوة، من أجل الإطاحة بها، والقضاء عليها، إلاّ أن أصحاب الدعوة المباركة جاهدوا في الله جهاداً عظيماً، وأبلوا بلاءً حسناً، لتكون كلمة الله هي العليا، فأبطل الله كيد أعدائهم، وباءت بالفشل جميع وسائلهم وأساليبهم، والله متم نوره، وناصر دينه، ومعلي كلمته، ولو كره الكافرون.

المبحث الثاني: أثر الدعوة السلفية في الدور السعودي الثاني:

إنه على الرغم من هول النكبة التي حلّت بالدولة السعودية الأولى، والتي استمرت حوالي ست سنوات. فإن الدعوة السلفية التي قام بها الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ لم تَمت ـ بحمد الله ـ ولم تفلح جهود الأعداء في النيل من تلك العزيمة الصادقة في سويداء قلوب الأسرة السعودية، فقد تمكن الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود سنة1240هـ من إعادة روح الجهاد ضد مَن أثار الفتن، وكشف الله بسببه المحن، واستطاع أن يكسر شوكة الطغاة، وينازل الأعداء، ويُطهر بلاده من دنس الاحتلال، ويعيد لها وحدتها وكرامتها بعد الفوضى والتفرق والانحلال، التي أضاعت جهوداً عزيزة بذلها آل سعود في سبيل العودة إلى منهج السلف الصالح، المتمثل في سلامة العقيدة، والتئام الصف، ووحدة الكلمة، والتحاب في الله. وطهر المجتمع مما أفسدته المشارب الدخيلة، ولهذا أصبح بحق مؤسس الدولة السعودية الثانية[١٨] .

يقول ابن بشر عن الإمام تركي بن عبد الله: "أطفأ الله به نار الفتنة بعد اشتعال ضرامها، وهان على كثير من الناس دينها وإسلامها، كأنهم لم يكونوا حدثاً بإسلام، ولم يجتمعوا على إمام، وتهاون كثير منهم بالصلاة وأفطروا في البلدان في شهر رمضان، وصار هذا الشهر العظيم عندهم كأنه جمادى أو شعبان، وتعذّرت بين البلدان الأسفار، واتخذوا دعوى الجاهلية لهم شعار، فحارب البلدان، وقاتل العربان، ودعاهم إلى الجماعة، والسمع والطاعة، حتى ضرب بجرانه، وسكنت الأمة في أمنه وأمانه"[١٩] .

"لقد استرد الإمام تركي مكانة آل سعود في الأحساء والبحرين، وأكد النفوذ السعودي في الساحل العماني، وكان ـ رحمه الله ـ مثلاً أعلى للعدل بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وكان غيوراً على شرع الله، عظيم الإيمان، واثقاً من نصر الله، لقد جاهد هذا الإمام في الله حق جهاده، وجدد بناء الدولة السعودية، ورفع منارها عالياً".

"لقد جرب أهل نجد أنواعاً من نظم الحكم قبل العهد السعودي، وبعد انقضاء عهد الدولة السعودية الأولى، فذاقوا الأمَرَّين، لذا لم يترددوا في نصرة الحق، والالتفات حول راية التوحيد، التي يرفعها الإمام تركي، فمشوا تحتها لما توحي به من الثقة والاطمئنان، وهي ثقة تمت بفضل الله تعالى، ثم بفضل تطبيق الشريعة"[٢٠] .

ومن شيوخ الدعوة وعلمائها في هذه الفترة: الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ، وابنه الشيخ عبد اللطيف، والشيخ العلامة حمد بن محمد بن عتيق، والشيخ أحمد بن علي بن حسين الوهيبي في الأحساء، ومن المشايخ الذين لهم تأثير حسن ـ رغم ضعف المُـنَاصر ـ في

---

١٥ الأمن الذي نعيشه، لحسين عبد الحي قزاز 25/1ـ26.
١٦ انظر: عنوان المجد 58/1ـ59.
١٧ انظر: تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام، لحسين بن غنام ص197ـ198.
١٨ انظر: في آفاق التربية الوطنية في المملكة العربية السعودية، للدكتور سليمان الحقيل ص19.
١٩ عنوان المجد في تاريخ المجد 8/2 .
٢٠ في آفاق التربية الوطنية في المملكة العربية السعودية، للدكتور سليمان الحقيل، ص 19ـ 20، تاريخ الدولة السعودية، للدكتورة مديحة درويش ص58.

شرح عقيدة السلف الصالح في الحجاز الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى، المتوفى عام 1328هـ[٢١] .

ونستطيع القول بأن الدعوة السلفية ظلت قوية منصورة طوال حكم الدولة السعودية الثانية.

وقد واجه آل سعود في تلك الفترة ظروفاً قاسية، ومواقف مختلفة، حتى هيأ الله قيام دولتهم مرة ثالثة على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ـ رحمهم الله تعالى ـ الذي أخذ على عاتقه نصرة الدعوة السلفية وإقامة دولة إسلامية دستورها كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فعادت للدعوة السلفية قوتها ومكانتها، وسار أبناؤه البررة من بعده على نهجه إلى هذا اليوم، نسأل الله تعالى لهم الثبات والتوفيق، وأن يجزيهم عن الدين وأهله خير الجزاء.

الفصل الثاني

أهم العوامل التي ساهمت في قيام الدولة السعودية الثالثة على يد الملك عبد العزيز

المبحث الأول: دور العلماء في نشر الدعوة السلفية:

ومن العوامل التي ساعدت على نشر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، ما قام به العلماء في نجد من الأسباب المشروعة في توصيل أخبار الدعوة ومبادئها إلى كثير من المناطق والبلدان الإسلامية، إما عن طريق المؤلفات والرسائل، أو عن طريق انتقالهم بأنفسهم من بلاد إلى أخرى بهدف نشر الدعوة. وما اتخذوه من الأسباب الشرعية المساهمة في إقامة الدولة الإسلامية، التي تأخذ على عاتقها إقامة حكم الله. وأهم هـذه الأسباب البيعة لمن يرونه أهلاً للإمامـة، وإقامة الحدود، وإنصاف الضعيف من القويّ، وغير ذلك من أمور الدين.

وكان بعض هؤلاء العلماء مرسلين ـ دعاة إلى الله ـ من قِبَل حكومة الدعوة في نجد سواء لداخل الجزيرة العربية أو لخارجها، بل كان إرسال هؤلاء الدعاة إلى مناطق من شبه الجزيرة العربية سبباً في خضوع بعض تلك البلدان والمناطق لحكومة الدعوة السلفية في نجد، من الناحيتين الدينية والسياسية[٢٢] .

وإليك بعض الأمثلة :

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن ـ رحمه الله ـ في رسالة له إلى إخوانه العلماء:

"تفهمون أن الجماعة فرض على الإسلام، وعلى مَن دان بالإسلام، كما قال تعالى: **{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا}**[٢٣]. ولا تحصل الجماعة إلا بالسمع والطاعة لمن ولاه الله أمر المسلمين.."[٢٤].

ومن رسالة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن يقول فيها: "وقد عرفتم أن أمر المسلمين لا يصلح إلا بإمامٍ، وأنه لا إسلام إلا بذلك، ولا تتم المقاصد الدينية ولا تحصل الأركان الإسلامية، وتظهر الأحكام القرآنية، إلا مع الجماعة والإمامة، والفرقة عذاب وذهاب في الدين والدنيا، وقد أجمع المسلمون على جهاد عدوهم مع الإمام"[٢٥].

ومن رسالة للشيخ عبد الله بن عبد اللطيف لإخوانه العلماء: "فتجرّد الحَبْر الجليل للدعوة إلى الله ـ أي الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ وآزره على ذلك من سبقت له من الله سابقة السعادة من أسلاف آل مقرن الماضين وآبائهم المتقدمين ـ رحمهم الله رحمة واسعة وجزاهم عن الإسلام خيراً ـ فما زالوا على ذلك على آثار حميدة ونعم عديدة، يصنع لهم تعالى من عظيم صنعه، وخفي لطفه ما هداهم الله به إلى دينه الذي ارتضاه لنفسه، واختص به من شاء كرامته وسعادته من خلقه، وأظهر لهم من الدولة والصولة، ما ظهروا به على كافة العرب، وغدت لهم الرياسة والإمامة، لا تزاحمهم فيها العرب، ولا يتطاول إليها بنو ماء السماء، وصالحهم يرجو فوق ذلك مظهراً، وجاهلهم يرتع في ثياب مجد لا يعرف من حاكها"[٢٦].

وتقدم معنا في المبحث الأول من الفصل الأول أن الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، والشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهما الله ـ بعثا الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين إلى والي مكة أحمد بن سعيد الشريف وعلمائها، ليكون مفوّضاً عنهما في شرح المعتقد وبيان حقيقة الدعوة، بناءً على طلب شريف مكة، وذلك في سنة 1185هـ[٢٧].

---

٢١ انظر: عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، للدكتور صالح بن عبد الله العبود، ص 560، 566، 568، 569، 575.

٢٢ الدولة السعودية الأولى، عبد الرحيم عبد الرحمن ص 63، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، د محمد السلمان ص78.

٢٣ آل عمران: 103.

٢٤ الدرر السنية 242/7.

٢٥ الدرر السنية 245/7.

٢٦ الدرر السنية 268/7.

٢٧ عنوان المجد لابن بشر 58/1ـ59.

وفي سنة 1211هـ أرسل الإمام عبد العزيز جماعة من أهل الدين والعلم المشهود لهم بحسن المناظرة... برئاسة الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، إلى الشريف غالب بناءً على طلبه أيضاً[٢٨] .

ولما دخلت بلاد الحجاز في ولاية الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ حصل اتفاق بين علماء مكة ونجد.. وقد اشتمل على بيان ما يجب على الأمة الإسلامية اعتقاده من توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة وتحذيرها من كل ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كدعاء غير الله، والاستغاثة والاستعانة بالأموات، وطلب الشفاعة منهم، والذبح والنذر لغير الله، وكالحلف بغير الله، وتعظيم القبور بغير ما شرع الله من البناء عليها واتخاذها مساجد، وشد الرحال إليها، والطواف حولها، والتبرك بها، مما عمّت به البلوى. وقد سبق نشرها في جريدة أم القرى في أجزاء متفرقة في سنة 1343هـ، ثم جمعت في رسالة تحت عنوان:

البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد

وطبعت عام 1344هـ، ثم ضُمّ إليها مناظرة في نفس الموضوع جرت بين علماء مكة ونجد نشرتها جريدة أم القرى يوم الجمعة 1343/5/15هـ، وطبعت بمطابع دار الثقافة بمكة المكرمة عام 1398هـ، طبعتها الثانية، وأولها: نداء عام من علماء بلد الله الحرام إلى أمتنا الكريمة وإلى شعبنا النبيل[٢٩] .

ومن هؤلاء العلماء الأجلاء الذين لهم دور بارز في نشر الدعوة السلفية والإسهام في إقامة الدولة الإسلامية: الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، والشيخ محمد بن عبد اللطيف، والشيخ سعد بن عتيق، والشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبد الله بن حسن، وغيرهم كثير ممن كانت لهم جهود كبيرة في التدريس، والإفتاء، وبعث الرسائل والنصائح، والتأليف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والخطابة، وغيرها ـ رحم الله الجميع رحمة واسعة.

هذا بالإضافة إلى أن طبيعة مبادئ الدعوة واضحة المعالم، تناسب الفطرة السليمة، سهلة الفهم، بعيدة عن التعقيدات والأمور الفلسفية، ولا غرو في ذلك فهي الدعوة إلى الإسلام النقي الخالص من شوائب البدع والشركيات[٣٠].

المبحث الثاني: السمعة الطيبة للدولة السعودية في عهودها السابقة:

إن ما اتصفت به الدولة السعودية منذ نشأتها من تاريخ متميز عن غيرها من الشيم الأصيلة، والقيم النبيلة، ونصرها للدعوة السلفية الإصلاحية ـ التي قام بإحيائها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ـ مكّن لها في قلوب الناس المحبة الصادقة، وأكسبها السُّمعة الطيبة.

وهذه السمعة الطيبة، لم تأت من فراغ، ولكن شواهدها التاريخية كثيرة جدا على مدار تاريخها.

وذلك أنه منذ أن اقتنع الإمام محمد بن سعود بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ورحب به ووعده بالنصر والجهاد لمن خالف التوحيد..

قام الإمامان ـ رحمهما الله ـ وأنصارهما بكل ما أُوتوا من قوة العلم والإيمان، بنشر هذه الدعوة المباركة، ورفعوا راية الجهاد، وسعوا إلى شرح أهداف الدعوة وغاياتها حتى تمكنت من شق حُجُب الضلال وتمزيق الباطل، واضحة المفهوم والهدف.

وقامت دولـة التوحيد والإيمان بالحفاظ على هذه الدعوة وحمايتها، وأقامت شرع الله في البلاد، ونفّذت الحدود والتعزيرات، وأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر، واهتمت بالشعائر الإسلامية عامة، والصلاة خاصة.

وقد عضَّت دولة آل سعود في كل عهودها على هذه الدعوة بالنواجذ لاقتناع أئمتها بصحتها وصوابها وفضلها.

وكان من آثار ذلك أن تبوأت هذه الدولة في جميع عهودها مكانة طيبة ومحبة صادقة لدى العلماء الموحدين، ونفوس المسلمين المخلصين في كل مكان.

وإذا تتبعنا مواقف آل سعود وأفعالهم وأقوالهم على مدار تاريخهم، تأكد لنا أنهم لم يكونوا حُكاماً فحسب، بل كانوا رجال عقيدة، ورجال دعوة أيضاً.

فالإمام محمد بن سعود يقول لإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

"يا شيخ إن هذا دين الله ورسوله الذي لاشك فيه، وأبْشِر بالنصرة لك، ولِما أمرت به، والجهاد لمن خالف التوحيد..."[٣١] .

ويقول ابن بشر عن الإمام تركي بن عبد الله مؤسس الدولة السعودية الثانية: "كان شجاعاً مقداماً مجاهداً في سبيل الله... ومن لطيف سيرته أنه يكون للضعيف في الغاية من اللطف والإكرام ولين الكلام، وإطعام الطعام... وكان آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، كثير النصائح

---

٢٨ تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام لابن غنام ص197ـ198.

٢٩ انظر: عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، للدكتور صالح بن عبد الله العبود ص590ـ591.

٣٠ انظر: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، للدكتور محمد بن عبد الله السلمان ص76.

٣١ تاريخ نجد لابن غنام ص87، عنوان المجد لابن بشر 12/1.

لرعيته... إنه من الداعين إلى الله، المجاهدين في سبيل الله"[٣٢] .

ويسير ابنه فيصل بن تركي على نهج أبيه، حتى أنه لو جمعت نصائحهم ومراسلاتهم في الدعوة إلى الله تعالى، وتعاهدهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لبلغت مجلداً[٣٣] .

ويأتي الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ مؤسس الدولة السعودية الثالثة، مستمراً في هذا الاتجاه، ومؤكداً سيره على خطى أسلافه في نصرة العقيدة ونشرها، وتحكيم شرع الله بين عباده.

ومن أقواله :

"كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله، إني والله، وبالله، وتالله، أُقدِّم دمي ودم أولادي وكُل آل سعود فداء لهذه الكلمة لا أضنُّ بها"[٣٤] .

"أنا داعية أدعو إلى عقيدة السلف الصالح..."[٣٥] .

"نحن دعاة إلى التمسك بالدين الخالص من كل بدعة. نحن دعاة إلى العروة الوثقى"[٣٦] .

ويواصل أبناء الملك عبد العزيز المسيرة على نفس المنهج. ولو تتبعنا أقوالهم وأعمالهم في نصرة الإسلام والمسلمين، لبلغت مجلدات كثيرة.

وهكذا نرى أن آل سعود قاموا بنصرة الدعوة إلى الله تعالى، ونشر العقيدة الصحيحة، واشتهرت عدالتهم بين الناس، مما جعلهم أهلاً لتولي أمور المسلمين، وجعل الناس يبايعونهم على السمع والطاعة، وعلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم دون أن يجدوا في نفوسهم حرجاً من ذلك.

المبحث الثالث: تطلُّع المجتمع إلى قيام دولة تُصحح العقيدة، وتطبق الشريعة وتقيم الأمن والعدل:

عاشت الجزيرة العربية قبيل عهد الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ حالة سيئة في جميع الحالات الدينية، والعلمية، والسياسية، والأمنية، والاجتماعية والاقتصادية، والصحية[٣٧] .

فمن الناحية الدينية: فإن الجزيرة العربية قبيل عهد الملك عبد العزيز قد أصابها ما أصاب الجميع من وهن العقيدة، وتفشي الجهل، والبدع، والضلالات، وإن كان بعض أهل الجزيرة قد وفقهم الله تعالى لتصحيح العقيدة، واتباع مذهب السلف الصالح، وترك البدع والشركيات، وذلك للأثر الذي تركته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نفوسهم.

والحقيقة أن منطقة الحجاز كانت أسوأ حالاً من الناحية الدينية ـ حيث جلب الحُكام السابقون عن طريق اتصالهم بالسلاطين العثمانيين ـ عادات وتقاليد أعجمية لا تقرها الشريعة الإسلامية[٣٨] .

أما عن الحالة العلمية: فإنه على الرغم من بعض الحلقات والدروس العلمية في الحرمين الشريفين، وفي بعض المساجد الأخرى، وعلى الرغم من تميز وسط الجزيرة بصفاء العقيدة واستقامة المنهج، واعتماد العالم والمتعلم على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وعلى الرغم من وجود بقية من العلماء الذين تعلَّموا على أيدي أئمة الدعوة وتلامذتهم الذين قامت عليهم دعائم الدولة السعودية في سابق عهدها. فإنه على الرَّغم من ذلك كله، فإن هؤلاء العلماء كانوا من القلة بحيث أن بعض القرى ـ فضلاً عن البادية ـ لا يوجد بها من يقرأ أو يكتب، لانشغال الناس بكسب قوتهم، علاوة على عدم الأمن وكثرة قُطاع الطرق، وكان ذلك مانعاً للبعض من الرحلة في طلب العلم إلى المدن التي يتوافر فيها العلماء مثل مكة، والمدينة، والرياض، ونحوها.

وأما من الناحية السياسية: فإن الجزيرة العربية في المدة التي سبقت تولّي الملك عبد العزيز زمام الأمور، في فوضى سياسية، يعمها الانقسام والتناحر والحروب، حيث أصبحت نجد كلها تبعاً لآل الرشيد، وفي الحجاز كان الشريف تابعاً للأتراك، وكانت السلطة غير منظمة في عهد الأتراك، فالوالي العثماني له حكمه، وللشريف حكمه، ولشيخ الحرم حكمه، ولرئيس العسكر حكمه، وذلك في مكة والمدينة.

وكانت في الأحساء حامية تابعة للأتراك أيضاً..

أما جنوب الجزيرة (عسير وجيزان) فكان يتبع الدولة العثمانية تارة، وتارة أخرى كان يستقل به أهلها، كإمارة آل عائض والإدريسي.

وهكذا كانت الجزيرة العربية قبيل عهد الملك في انقسام وتمزق، وكانت هدفاً لمؤامرات الدول الغربية والاستعمارية، التي كانت تستهدف استعمار ما بقي من العالم الإسلامي عامة،

---

٣٢ عنوان المجد لابن بشر 56/2ـ57.

٣٣ انظر: المرجع السابق 60/2.

٣٤ الملك الراشد ص362.

٣٥ المرجع السابق ص371.

٣٦ المصحف والسيف لمحي الدين القابسي، ص62، ط2، دار الناصر، الرياض.

٣٧ انظر الكتاب القيم "الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ" للدكتور محمد بن ناصر الشثري 35/1ـ50، وص 120 وما بعدها.

٣٨ انظر: تاريخ مكة لأحمد السباعي 216/1، ط6، سنة 1404هـ، وكتاب من شيم الملك عبد العزيز، لفهد المارك 297/3ـ298.

والعالم العربي خاصة[٣٩] .

وأما عن الأمن: في الجزيرة العربية قبيل الملك عبد العزيز، فإنه كان مفقوداً، والناس يغلب عليهم التمزُّق والتفرُّق والانقسام، فيما بين بعضهم البعض، وفيما بينهم وبين المتجاورين في البلدان.

وكان حبل الأمن مضطرباً. فالقبائل في غارات مستمرة تقاتل بعضها بعضاً، لا يستقر لها حال، ولا يهدأ لها بال، والدماء تُسفك وتُراق لأتفه الأسباب، والانتقام والأخذ بالثأر هو شغلها الشاغل، فلا أمن ولا أمان، بل فوضى وعدوان[٤٠] .

وكان الخوف شديداً، وقد عمَّت الفوضى والسلب والنهب والقتل وإزهاق الأرواح، فالحروب تقع بين القبائل ـ في البادية وبين القرى ـ لأتفه الأسباب، أو بسبب الطمع والنهب، وكان البدو يتحاكمون إلى العرف، والحضر يحارب بعضهم بعضاً. إذ ليس هناك سلطة قوية تسيطر على الأمور وتردع الظالم وتنصر المظلوم .

وكانت الانقسامات الإقليمية والغزوات القبلية، والحروب الأهلية من الأمور الشائعة. وقد جلب النـزاع والتقاتل بين الأفراد والقبائل للأهالي المحن والويلات.

وكانت الطرق محفوفة بالمخاطر من قطاع الطرق، فلا يذهب مسافر من جهة إلى أخرى إلا بعد الجهد والمشقة.

وكان من أشهر الأسباب التي ساهمت في زعزعة الأمن والاستقرار التنازع من أجل المراعي وموارد المياه والأخذ بالثأر.

وكانت رحلة الحج في سلسلة من المشقات، بل كانت نوعاً من المغامرة والمجازفة بعد أن انتشرت جرائم اللصوص، وعصابات قُطاع الطريق على الحاج بيت الله الحرام، وكان الناس يحذّرون المسافرين من أخطار الطريق، وكان من يريد الحج يودع أهله وداع مفارق لا عودة له بسبب سوء حالة الأمن واضطرابه، وكانوا يقولون: "الذَّاهب للحج مفقود، والعائد منه مولود" [٤١] .

حتى إنّه ليروى أن أحد قطاع الطرق قتل حاجا، وحين فتشه لم يجد معه سوى ريال واحد، فقالوا له: أتقتله من أجل ريال؟ فقال بلا خجل: الريال أحسن منه.

هكذا كانت الحال إذن، حياة الحاج لا تساوي ريالاً واحداً[٤٢] .

أما في غير مواسم الحج فقد كانت جرائم القتل بصفة خاصة منتشرة في العهد الماضي بسبب عادة الأخذ بالثأر، ولم يكن الموتور يتورع عن الأخذ بثأره والانتقام من غريمه في رابعة النهار، وعلى مسمع ومشهد من الناس، وهو لا يكتفي بذلك بل يتفاخر ويتباهى بالانتقام من خصمه. يروي العقيد الميمان: أن عمدة قباء بالمدينة المنورة ـ وهو عدل ثقة ـ أبلغه بأنه في العهد الماضي كانت مسألة الثأر شائعة في البوادي المقيمة بالمدينة والقرى المجاورة لـها، وأنه في يوم من الأيام بينما كان شخص يتناول الشاي في أحد المقاهي في وسط المدينة في رابعة النهار أطلق عليه شخص آخر عياراً نارياً من بندقيته كان يحملها فقضى عليه. وعندما حاول الناس القبض عليه صاح فيهم قائلاً (سداد . سداد) يعني أخذه بثأره، فتركوه مراعاة للعرف والتقاليد السائدة، ولم تمض سوى أيام قلائل حتى أُخذ بثأر المجني عليه من القاتل نفسه في رابعة النهار وفي وسط المدينة[٤٣] .

وأما الحالة الاجتماعية والاقتصادية: فإن الحياة القبلية ونظامها كانت هي الأساس في ذلك الوقت، وكان منطق القوة والعنف والإغارة، وقطع الطريق يمثل السبيل الوحيد ـ في الغالب ـ للحصول على المال والثراء.

وبوجهٍ عام كانت المعيشة في تلك الفترة قاسية جداً، وكان القوت الرئيس هو التمر والبُرّ، وأحياناً اللبن.

وأحياناً تحلُّ بالناس مجاعات تبلغ من القوة درجة أن بعضهم يأكل العشب وأوراق الشجر، وجلود الحيوانات، الأمر الذي حمل البعض إلى الهجرة خارج البلاد من أجل الحصول على القوت.

وأما الحالة الصحية: فقد انتشرت الأمراض والأوبئة التي كانت تفتك بالأسر والجماعات، ولا علاج في تلك الفترة سوى النار وبعض الأخلاص من الأعشاب على أيدي بعض الأشخاص المتطببين.

وكانت بعض الأمراض المعدية ـ كالكوليرا ـ تدخل البيت فلا تبقي فيه شخصاً واحداً على قيد الحياة إلى حد أنهم قد لايجدون لبعضهم نعشاً يُحمل عليه[٤٤] .

وإنه نتيجة إلى هذه الإشارة عن الظروف التي كانت تعيشها الجزيرة العربية قبل الملك عبد العزيز من انتشار الجهل، ووهن في العقيدة، وتفشي البدع والمنكرات.

---

٣٩ انظر: السعوديون والحل الإسلامي، لجلال كشك ص25ـ26.

٤٠ انظر: حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز، لرابح لطفي جمعة ص49.

٤١ انظر: حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز، لرابح لطفي جمعة ص42.

٤٢ انظر: الأمن الذي نعيشه، لحسين عبد الحي قزاز 25/1.

٤٣ انظر حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز، لرابح لطفي جمعة ص 49، نقلاً عن بحث في القصاص في الإسلام وأثره في استتباب الأمن واستقراره في المملكة العربية السعوية، للعقيد جميل الميمان ص26.

٤٤ من شيم الملك عبد العزيز، لفهد المارك 252/3ـ257.

وما كانت فيه من فوضى سياسية يعمها الانقسام والتناحر والحروب، وما كانت فيه من فرقة مستحكمة بين الأفراد والجماعات.

وما كان يعانيه الناس من فقدان للأمن في طول البلاد وعرضها، وما كانوا فيه من خوف وذعر، وسلب ونهب، وقطع للطريق، وسفك للدماء، وأخذ بالثأر، دون وجود الوالي القادر العادل الذي يردع الظالم وينصر المظلوم. بالإضافة إلى ما يعانيه الناس من قلة التعليم، ومن قسوة المعيشة، وانتشار الأمراض والأوبئة التي كانت تفتك بالناس وليس لها من العلاج سوى الكي بالنار وبعض الأعشاب.

لذا فإنّ العلماء والمصلحين ومجتمع الجزيرة العربية كان في تطلع وترقب ولهف وشوف لقيام دولة قوية تصحح العقيدة، وتنشر الدين الصحيح، وتقضي على البدع والمنكرات، وتطبق الشريعة السمحة، وتقيم الأمن والعدل في ربوع البلاد [٤٥]. وتجمع الشمل، وتوحد الصفوف، وتؤلف بين القلوب، وتعيد المهابة والعزة للأمة الإسلامية.

وقد هيأ الله سبحانه وتعالى للملك عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ الأسباب لإيقاظ هذه البلاد من غفوتها، ولتقوم نهضة إسلامية جديدة قوية، فقام الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ـ رحمهم الله ـ متّبعاً سنة آبائه في نصرة عقيدة السلف الصالح، وإعزاز أهل الدين والحق، واستعادة مكاسب آبائه من ذلك، وتجديد مجدهم، وإحياء سنتهم الراشدة.

وقد تميز طموح الملك عبد العزيز الشخصي في دفع القوة الوطنية إلى شدة الإصرار على إعادة بناء الدولة السعودية في حدود الأُطُر الدينية والسياسية والاجتماعية التي سارت عليها الدولة السعودية في دورها الأول.

فكان هذا الإصرار ـ مضافاً إليه مجموعة مقومات بناء الدولة ـ بمثابة قوة الدفع اللازمة لتكوين البناء السياسي الجديد[٤٦] .

ومما يؤيد هذا شهادة الشيخ محمد مغيربي ـ وهو أحد المعاصرين للمجتمع في تلك الفترة ـ فقد صوّر ذلك بقوله:

"أما العامل الأقوى في نجاح هذه الدعوة بتلك المدة القصيرة، فسببه يرجع على الأكثر، إلى ما كانت عليه القبائل من الفوضى بتفشي الجهل، وتأثير المطامع، فأدى ذلك إلى تجاوز كل منهم على حقوق الآخرين، وانعدام الأمن على الأرواح، والأموال، وبما أن حالة كهذه غير طبيعية في الأقوام والشعوب، أصبح كل فرد فيهم يتطلب الطمأنينة، ويلتمس سبيل السلام، فجاءت هذه الدعوة مطابقة لعقليتهم واستعدادهم الفكري، ورغبتهم المفقودة"[٤٧] .

الفصل الثالث

شخصية الملك عبد العزيز وتوحيد المملكة

المبحث الأول: شخصية الملك عبد العزيز وأثرها في توحيد المملكة:

اتصف الملك عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ بصفات الرجل المسلم، المؤمن بربه، الواثق به، وكان قوي الإيمان، صلب العقيدة، ملازماً لطاعة الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، جاعلاً نصب عينيه مراقبة الله وإخلاص العبادة له.

ومن أقواله ـ رحمه الله ـ التي تدل على ثقته بالله جل وعلا، وشدة توكله عليه قوله: "إذا أراد المسلمون والعرب قتال عدوهم فإن أعدوا له آلة واحدة من آلات الحرب، أعدّ أعداؤهم مئات وألوفاً، ولكن قوة واحدة إذا أعدها المسلمون لا يمكن أعداؤهم أن يأتوا بمثلها، هي إيمانهم بالله وثقتهم به، هذه القوة لا قِبَل لأحدٍ بها"[٤٨] .

ويقول ابنه الملك فيصل ـ رحمه الله ـ عن قوة إيمان والده: "أول المزايا التي يتصف بها والدي قوة الإيمان، فما رأيته منذ نشأت قد ضعف إيمانه بالله، أو تخلى عن ثقته بنصر الله"[٤٩] .

وكان ـ رحمه الله ـ عادلاً يحكم بالشريعة الإسلامية، وينصر المظلوم، ويعاقب الظالم، وكان لا يتهاون في إنفاذ الحق على أي شخص حتى ولو كان من أقرب الناس إليه.

يقول ـ رحمه الله ـ : " إن من واجب الراعي أن يكون ناصحاً لرعيته، فيمنع عنهم الظلم، ويحذرهم من نتائج الظلم والعدوان، ومن واجب الرعية أن تكون ناصحة لولي أمرها..." [٥٠] .

وفي هذا يقول ابنه الملك فيصل ـ رحمه الله ـ : "إن والدي لا يفرّق بيننا وبين أبناء شعبه، وليس للعدالة ميزانان: يزن بأحدهما لأبنائه، ويزن بآخر لأبناء الشعب، فالكل سواء عنده، والكل أبناؤه"[٥١] .

---

٤٥ انظر هذا التطلع في تاريخ المملكة العربية السعودية، للدكتور عبد الله العثيمين 25/2، 28، 48، 59، 62، 137، 176، 183.

٤٦ مصادر تاريخ البلاد السعودية، لعبد الفتاح أبو عليه ص2، ط1، دار المريخ، سنة 1399هـ.

٤٧ وهابية اليوم لمحمد مغيربي المدني ص21، ط تركيا، سنة 1342هـ.

٤٨ الملك الراشد، لعبد المنعم الغلامي ص319، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز 796/2.

٤٩ من حياة الملك عبد العزيز للأحيدب ص37.

٥٠ الملك الراشد ص347.

٥١ من حياة الملك عبد العزيز للأحيدب ص39، شبه الجزيرة للزركلي 23/2.

وكان الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ حكيماً في معالجة الأمور، يقود شعبه بقلبه، وإذا استحكمت الأمور استعمل الفكر والرأى قبل السيف، هذا هو منهج الملك عبد العزيز.. يؤكده أنه في اليوم الذي أرسى فيه أول لبنة في بناء المملكة.. يوم فتح الرياض في شوال سنة 1319هـ، لم يُرسل رجاله المحاربين، ولم يسلّ سيفه على أعدائه، ولكنه مضى على سنة الرسول صلى الله عليه وسلم القائل لأهل مكة حينما فتحها: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"[٥٢] .

وكان ـ رحمه الله ـ بطلاً مغواراً، وشجاعاً لايُبارى، لا يخشى في الحق لومة لائم، وكان يتقدم الجموع أثناء القتال، ليُلقِي الرعب في نفوس أعدائه، ويرفع الحماس بين رجاله. وكان رأيه سابقاً لشجاعته، وبُعد نظره وسعة أُفقه، وقوة حكمته. وكان ينشد بيتي المتنبي:

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أول وهي المحل الثاني

فإذا هما اجتمعا لنفس مرة ... بلغت من العليا كل مكان[٥٣]

وكان ـ رحمه الله ـ كثير التواضع، ليّن الجانب، يظهر أمام رعيته بأنه واحد منهم، له مالهم، وعليه ما عليهم، ولم يكن يتفاخر بملبسه أو مسكنه[٥٤].

وكان عفوّاً عند المقدرة، وقد لازمته هذه الصفة حتى توفاه الله، فقد عفا عن أناس ناصبوه العداء مدة طويلة، وأضمروا الشر لمملكته في كثير من المواقف، وكانت مواقفهم تتطلب إنزال أشد العقوبات بحقهم، ولكن الملك عبد العزيز يسدل ستار الصلح، فيعفو عنهم، والأمثلة على ذلك كثيرة[٥٥] .

ومن الصفات الحميدة التي كان يتحلى بها: صفة الوفاء، فقد كان محبا لأصدقائه القدماء، وفيّاً معهم، وكان يتفقد أحوالهم، ويكافئهم بالمنح والعطايا[٥٦].

وقد وهب الله الملك عبد العزيز ذاكرة قوية فذّة، فقد كان ذكيّاً فطناً في كل ما يقرأه أو يسمعه أو يقوله أو يفعله. وكان حاضر البديهة، حسن الاستشهاد.

وكان ـ رحمه الله ـ مطلعا على أمور دولته، وأحوال رعيته، ويعدُّ توجيهاته بشأن كل قضية أو مسألة، فهو المتخذ للقرارات، والموجه بتنفيذها.

وكان ـ رحمه الله ـ كثير الاهتمام في استقصاء الحوادث، وتتُّبع الأخبار العالمية بصورة عامة، والبلاد العربية والإسلامية بصورة خاصة. فكان يقرأ معظم الصحف العربية يومياً، ويتابع الإذاعات الكبرى في أوقاتها[٥٧] .

فهذه الصفات العظيمة، والسجايا الكريمة، والروح المؤمنة الصادقة، التي يندر وجودها مجتمعة في غير شخصية الملك عبد العزيز من عظماء التاريخ المعاصر، كان لها الأثر العظيم في مودة الناس له، والترحيب به، والالتفاف تحت رايته. فمكن الله له، وتمّ له توحيد المملكة العربية السعودية، وأتاح الله لأهل الجزيرة عهداً سعيداً، عامراً بالعدل، والرخاء، ورغد العيش، عزيزاً بالأمن والإيمان.

وعن تديُّن الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ وأثره في محبة الناس له، يقول الدكتور عبد الله العثيمين في بحث نشره في مجلة الدارة عن الملك عبد العزيز: "إنّ من مؤهلات الملك عبد العزيز التديُّن وهذا التدين ذو مظهرين:

أحدهما: سلوكه الشخصي إذ كان محافظاً على أداء الواجبات والسنن الدينية.

وثانيهما: مناداته بالإسلام عقيدة صافية وعملاً ملتزماً.

ولاشك أن التدين عامل قوة للفرد يكسبه صفات جليلة، في طليعتها الثقة بالله والتوكل عليه، وكان لتدين الملك عبد العزيز بمظهريه، أثره البعيد في استقطاب أكثرية سكان المنطقة التي بدأ فيها تأسيس حكمه، ذلك أنّ سكان نجد كانوا يُكنُّون مودة للدين، وكان حبُّ الدعوة الخيرة التي تبنتها الدولتان السعوديتان الأولى والثانية لا يزال متغلغلاً في أفئدتهم.."[٥٨] .

المبحث الثاني: سير الملك عبد العزيز على منهج السلف الصالح:

وجاء أبو الملوك الميامين، الملك الراشد عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، مؤسس المملكة العربية السعودية وموحد كيانها، وباني مجدها ونهضتها، مؤكداً سيره على خطى السلف الصالح في نصرة الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، والتمسك بأحكام الشريعة الإسلامية والحرص على تحكيمها في جميع المجالات.

قال رحمه الله: "عقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه السلف الصالح، ونحن نحترم الأئمة الأربعة، ولا فرق عندنا بين مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة، كلهم محترمون في نظرنا... هذه هي العقيدة

---

٥٢ انظر: الأموال للأبي عبيد القاسم بن سلام ص 143، وسيرة ابن هشام 412/3، وزاد المعاد لابن القيم 184/2.

٥٣ شرح ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوني 307/4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ، 1986م.

٥٤ انظر: من حياة الملك عبد العزيز للأحيدب ص41.

٥٥ الملك الراشد ص336.

٥٦ المرجع السابق ص339ـ340.

٥٧ الملك الراشد ص329، في آفاق التربية الوطنية ص37.

٥٨ مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة الحادية عشرة، 1406هـ.

التي قام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يدعو إليها، وهذه هي عقيدتنا، وهي عقيدة مبنية على توحيد الله عز وجل خالصة من كل شائبة، منـزهة من كل بدعة، فعقيدة التوحيد هذه هي التي ندعو إليها. وهي التي تنجينا مما نحن فيه من محن ومصائب"[٥٩] .

ومن أقواله ـ رحمه الله ـ في هذا الصدد: "... على أنه في آخر الأمر أظهر الله شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، ثم بعدهما محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهم الله ـ ونفع بهم الإسلام والمسلمين، وخصوصاً محمد بن عبد الوهاب، عندما اندرست أعلام الإسلام، وكثرت الشبهات والبدع، فلما رأى أسلافنا موافقة أقوالهم وأفعالهم لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبلوا ذلك وقاموا بما أظهره الله على أيديهم، ونحن إن شاء الله على سبيلهم ومعتقدهم، نرجو أن يحيينا على ذلك ويميتنا عليه".. إلى أن قال: "ومن أشكل عليه شيء من الأمور فليردّه إلى طالب العلم المنصوب عندكم بأمر الولاية ورضى المشايخ" [٦٠] .

ومن أقواله ـ رحمه الله ـ : "أنا داعية لعقيدة السلف الصالح، وعقيدة السلف الصالح هي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما جاء عن الخلفاء الراشدين. أما ما كان غير موجود فيها، فأرجع بشأنه إلى أقوال الأئمة الأربعة، فآخذ منها ما فيه صلاح المسلمين"[٦١] .

"أنا مسلم، وأحب جمع كلمة الإسلام والمسلمين، وليس أحب عندي من أن تجتمع كلمة المسلمين ولو على يد عبد حبشي، وإنني لا أتأخر عن تقديم نفسي وأسرتي ضحية في سبيل ذلك"[٦٢] .

"أنا بذمَّتكم وأنتم بذمتي. إن الدين النصيحة. أنا منكم وأنتم مني. هذه عقيدتنا في الكتب بين أيديكم، فإن كان فيها ما يخالف كتاب الله، فردونا عنه، واسألوا عما يشكل عليكم فيها، والحكم بيننا كتاب الله وما جاء في كتب الحديث والسنة"[٦٣] .

وقال رحمه الله أمام المؤتمر الإسلامي الذي دعا إليه، وعقد أولى جلساته يوم الاثنين 26 ذي الحجة 1344هـ:

"أيها الإخوان: إني لا أريد علوّاً في الأرض ولا فساداً، ولكن أريد الرجوع بالمسلمين إلى عهدهم الأول، عهد السعادة والقوة، عهد الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، لا شيء يجمع القلوب ويوحدها سوى جعل أهوائها تبعاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم".

وأضاف يقول: "إننا لا نُكْرِه أحداً على اعتناق مذهب معين، أو السير في طريق معين في الدين... ولكن لا أقبل بحالٍ من الأحوال التظاهر بالبدع والخرافات التي لا يعتبرها الشرع وتأباها الفطرة السليمة، لا يسأل أحد عن مذهبه أو عقيدته، ولكن لا يصح أن يتظاهر أحد بما يخالف إجماع المسلمين أو يثير فتنة عمياء.."[٦٤] .

ولما أراد السفر لفتح مكة قال رحمه الله: "إني مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها، بل لرفع الظلم عنها، والمغارم التي أرهقت كاهل عباد الله، إنّي مسافر إلى حرم الله لبسط أحكام الشريعة وتأييدها، فلن يكون هناك بعد اليوم سلطان إلاّ للشرع".

وأضاف قائلاً: "الذي أبغيه من هذه الديار أن نعمل بما في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم"[٦٥] .

يقول محمد جلال كشك: "المصادر التي وصفت رحلة الملك الأولى من الرياض إلى مكة، وتناقلتها صحافة العالم الإسلامي، جدَّدت أحلام العودة لمجد وفضائل القرون الأولى للحضارة الإسلامية، فقد كانت رحلة شبيهة برحلات سلاطين الجهاد، أو جيش المرابطين: الجند في تسبيح وتهليل وتسابق على التضحية والفداء، وإيثار المسلم لأخيه المسلم، والقيادات تقسم وقتها ما بين تلاوة القرآن، وتفسير الحديث، أو قراءة التاريخ العربي، وشعر العرب، والأعداء في سُكْرٍ ورقص وتدخين، وابن شريفهم يدهش لرؤية الإخوان يُصلُّون خلال المعركة"[٦٦] .

ومن تصريحاته لوفد العلماء الهنود: "أعترف أمام الله وأمام كل المسلمين بأني لا أريد إلا العودة إلى دين الإسلام الصحيح القويم، البعيد عن العقائد الوثنية التي ليست من الإسلام في شيء، وأنّ عقائدي هي عقائد أجدادي الأطهار الأتقياء، عاداتنا هي عاداتهم، شعائرنا هي شعائرهم، وإننا نعود في كل شيء لأحكام القرآن والسنة، ونحاول أن نعيش كما عاش الخلفاء الراشدون، وكل ما نطمع فيه أن يتحد العلماء المسلمون فيتحد العالم الإسلامي، نريد أن يكون اتحادنا قوياً متيناً، وأن يخضع العالم الإسلامي خضوعاً تاماً لأحكام القرآن والسنة"[٦٧] .

---

٥٩ جريدة أم القرى، ذو الحجة 1347هـ، وانظر: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ص217.
٦٠ نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز... لأمين الريحاني ص435ـ436 ط3.
٦١ الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ص216.
٦٢ المرجع السابق ص216.
٦٣ الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ص217.
٦٤ الملك الراشد لعبد المنعم الغلامي ، ص47ـ49 .
٦٥ الرحلة الملكية، كتبها الشيخ يوسف ياسين، جمع وتنقيح عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، ص20، وانظر: تاريخ المملكة العربية السعودية لسيد محمد إبراهيم ص207.
٦٦ السعوديون والحل الإسلامي ص32.
٦٧ الملك الراشد ص 50.

وفي يوم 1 ربيع الأول سنة 1346هـ جمع كبار الموظفين في الدولة وخطب فيهم خطاباً رائعاً، ومما جاء فيه:

"تعلمون أن أفضل الأعمال كلمة حق تقال، وأن أفضل الأعمال معرفة الحق واستعماله، والمجالس يجب أن تكون للنصيحة والإرشاد. نحن نريد أن نسير إلى الأمام، ولكن بأقدام ثابتة، وعلى ضوء النهار، إنّ رأينا واعتقادنا وآمالنا في السير إلى الأمام، يجب أن يكون وفق ما كان عليه نبينا عليه الصلاة والسلام، وما كان عليه السلف الصالح، فما كان موافقاً للدين في أمور الدنيا سرنا عليه، وما كان مخالفاً للدين نبذناه.."[٦٨] .

ومن خطبة له في مكة أيضا: "يُسمونا بالوهابيين، ويُسمُّون مذهبنا بالوهابي، باعتبار أنه مذهب خاص. وهذا خطأ فاحش، نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يبثها أهل الأغراض .

نحن لسنا أصحاب مذهب جديد، أو عقيدة جديدة، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه السلف الصالح.

نحن نحترم الأئمة الأربعة، ولا فرق عندنا بين الأئمة مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة، كلهم محترمون في نظرنا"[٦٩] .

ومن أقواله المأثورة: "نحن دعاة إلى التمسك بالدين الخالص من كل بدعة، نحن دعاة إلى العروة الوثقى"[٧٠] .

فهذه أقواله ـ رحمه الله ـ واضحة صريحة في تمسكه بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، ودعوته إلى ذلك، لا تحتاج إلى تعليق، وسيأتي المزيد في بحث تقريره للعقيدة السلفية ونشرها في الفصل الرابع إن شاء الله تعالى.

المبحث الثالث: توحيد الملك عبد العزيز للمملكة:

بدأ توحيد المملكة العربية السعودية بفتح الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ للرياض في 5 شوال سنة 1319هـ، وبعد أن استتب الأمن فيها انطلق منها لتوحيد بقية أجزاء المملكة تحت راية التوحيد، وتوالت الفتوحات والإصلاحات الاجتماعية، حتى أصبحت جميع أقاليم البلاد دولة موحدة باسم المملكة العربية السعودية في 21 من جمادى الأولى عام 1351هـ[٧١]. وأصبح لقب موحدها وباني مجدها (ملك المملكة العربية السعودية).

وقد بذل الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ الكثير والكثير من الجهد والجهاد في سبيل الوصول إلى توحيد المملكة، إذ خاض ـ رحمه الله ـ أكثر من أربعين معركة[٧٢] . واستمرت أكثر من ثلاثين عاماً. وذلك من أجل إعلاء كلمة "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، ومن أجل إقامة هذا الصرح الشامخ والكيان الكبير.

وبذلك الجهد العظيم استطاع ـ رحمه الله ـ أن يؤسس في قلب الجزيرة العربية وعلى أطرافها أعظم دولة إسلامية في العصر الحديث، قامت على أساس العقيدة الصحيحة المستمدة من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومنهج السلف الصالح، تُناصرُ الحق والعدل، وتقيم الأمن والاستقرار، وتُسخر كل إمكانياتها في خدمة الإسلام والمسلمين.

وكان ـ رحمه الله ـ يُحب الخير والسلام لبلاده، وشعبه، وكل المسلمين. ومن أقواله:

"ليس لدينا أحب من السلام يغمر هذه الربوع، فنحن لسنا طالبين حرب، ولا نشهر سلاحنا إلاّ في وجه من يبادرنا بالسلاح، لقد آن لهذه البلاد الحبيبة أن تعرف السكينة، وتنعم بالسلام، فلنوحد صفوفنا وسلاحنا وكلمتنا"[٧٣] .

ويرى ـ رحمه الله ـ أنّ أساس الوحدة والائتلاف إنما يكون في توحيد الله تعالى، والقيام بما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومن أقواله في هذا:

"إن الذي يجمع شملنا ويوحد بيننا هو الالتفاف حول كلمة التوحيد والعمل بما أمر الله به ورسوله"[٧٤] .

لقد سخر الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ كل عمره وجهده العظيم في خدمة دينه وأمته، وعمل على كل ما يهم الأمة ويؤثر في حاضرها ومستقبلها، وركز على العقيدة، والأمن والوحدة، والحكم بما أنزل الله، ونشر العلم، وتوطين البادية، والإصلاح الاجتماعي، وأجرى مصالح الناس والأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصح للمسلمين.

وكان ـ رحمه الله ـ شخصية قيادية، وتاريخية فذة، وصاحب تجارب متنوعة القدرات، وكان صاحب خلق ثابت في التعامل مع الآخرين. وكان يواجه الناس مواجهة صريحة واضحة، فكان مثلاً حيّاً في الصدق والوفاء، والإخلاص في القول والعمل، والتحلي بمكارم الأخلاق، وعلى هذا الأساس جمع حوله أبناء البلاد، فوحَّد الأمـة، وآخى بين أفرادها وجماعاتها، مدنها وقراها،

---

٦٨ الملك الراشد ص359.

٦٩ الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ص217.

٧٠ المصحف والسيف لمحي الدين القابسي، ص62، ط.2، دار الناصر، الرياض.

٧١ انظر: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ص158.

٧٢ في آفاق التربية الوطنية، للدكتور سليمان الحقيل، ص28.

٧٣ عبد العزيز آل سعود وعبقرية الشخصية الإسلامية، د0 عبد العزيز شرف، ص38.

٧٤ الملك والمملكة والمنهج، د0 عبد الله بن عبد المحسن التركي ص74 .

حاضرها وباديتها، وجميع أقاليمها وجهاتها.

وجاهد في سبيل تعزيز هذه الوحدة، وتوطيد دعائمها، وتقوية أواصرها، وحسّن العلاقة الاجتماعية بين أفرادها، وغرس روح المحبة والمودة بينهم، وأسهم في علاج المشكلات بحكمة بالغة.

وليس في مقدور الباحث أن يحيط بأبعاد شخصية الملك عبد العزيز وأعماله وعبقريته وسداد رأيه. حيث كان ـ رحمه الله ـ يزن الأمور بموازين دقيقة، وبفضل من الله تعالى وعونه وتوفيقه استطاع أن يؤسس بنياناً شامخاً، ويقيم صرحاً كبيراً أساسه تقوى الله، واتباع الكتاب والسنة، ويضع نهضة حضارية ما زال أبناء هذا البلد يسعدون بنعيمها ويعيشون في ظلالها تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين.

لقد مكّن الله تعالى للملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ في الأرض، ووطّد له فيها، لمَّا قام بدين الله، وتحكيم شرعه، ونشر عقيدة السلف الصالح، وبث الوعي الديني، والقضاء على البدع والمنكرات.

قال تعالى: **{الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ}**[٧٥].

وقال عز وجل: **{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً..}**[٧٦].

يقول الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند هذه الآية: "هذا وعد من الله تعالى لرسوله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي أئمة الناس والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمناً وحكماً فيهم"[٧٧] .

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ـ رحمه الله ـ : "هذا من وعوده الصادقة التي شوهد تأويلها ومخبرها، فإنه وعد من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة، أن يستخلفهم في الأرض، فيكونوا هم الخلفاء فيها المتصرفين في تدبيرها، وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وهو دين الإسلام الذي فاق الأديان كلها، وارتضاه لهذه الأمة لفضلها وشرفها، ونعمته عليها، بأن يتمكنوا من إقامته، وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة، في أنفسهم وفي غيرهم..." إلى أن قال: "ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح، فلابد أن يوجد ما وعدهم الله"[٧٨] .

ويمكن إيجاز بعض الأعمال والجهود الهامة التي قام بها الملك عبد العزيز وكان لها الأثر الكبير في تأسيس قواعد المملكة، وإيجاد وحدة مترابطة ومتماسكة بين أفراد هذا الوطن الغالي في الفصل التالي

---

٧٥ الحج : 41 .

٧٦ النور : 55 .

٧٧ تفسير ابن كثير 314/3 .

٧٨ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان 412/3ـ413 .